

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

أما بعد : قال معالي الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى - من محاضرة «من معين أقوال السلف» - :

ولاشك أن المحاضرات والدروس من أشد ما تكون الحاجة إليه في هذا الزمن، لأنها سلاح يتسلح به المؤمن في خضم هذه الفتن وخضم هذه التقلبات، لا سيما أن أعلى شيء عند أهل الإسلام هو دينهم، وأعلى شيء عندهم في هذه الدنيا هو إيمانهم، فالحرص عليه بالسلاح المناسب الإيماني وبالذواء النافع من أهم المطالب وأعظم ما يحرص عليه، ولذلك كانت هذه المحاضرات وغيرها مما ينبغي للشباب وللناس بعامة رجالاً ونساءً أن يحرصوا عليها؛ لأن المؤمن إذا استفاد لا شك أنه سيفيد غيره من أهل بيته أو ممن يخالطه أو ممن يكون معه، هذه المحاضرة ليس لها عنوان يتضح معه المقصود منها، لكنها بعنوان : «من معين أقوال السلف» والسبب في هذا الاختيار أن أقوال السلف رحمهم الله تعالى وهم من سبقنا من أهل العلم الراسخ وأهل الاستقامة على المنهج الحق فإن هؤلاء لهم من الدروس والأقوال وما أثر عنهم ما يكون إماماً للناس، يفهمون به مقاصد كلام الله وكلام رسوله ﷺ ومقاصد الإسلام بعامة، ولذلك كان حرص المؤمن على كلام الله تعالى وهو الذي لا يعدله شيء - القرآن العظيم - :

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩] ، هو الحق الذي لا محيد عنه وهو الفصل وهو الذي تأنس له القلوب وتقوم له الناس، لذلك كان من اللوازم أن يهتم بالقرآن منهجاً وعلماً وعملاً، ثم بسنة النبي ﷺ ، ثم بما عليه الصحابة رضوان الله عليهم.

ثم بما يكون من أقوال أهل العلم الذين رسخت قدمهم وشهدت لهم الأمة بالخيرية، فإن في كلامهم ما يكون نبراساً لأهل الإيمان.

ولذلك قال الحافظ العلامة ابن رجب رحمه الله تعالى في كلام السلف: «كلام السلف قليل كثير الفائدة وكلام الخلف كثير قليل الفائدة»، وكلام السلف على قلته فهو محفوظ، لأنه كلمات قليلة تستوعب و تروى وتذكر وتتناقلها الأمة، لكن الكلام الكثير تجد أنه لا ينقل عن صاحبه مع كثرة كلامه لا ينقل عنه إلا الشيء النادر من الكلام الذي يبقى، يبقى التأثير العام، لكن كلام السلف فيه نفع عظيم في التأثير وفي الحفظ، ويمكن أن ينطلق منه طالب العلم، ينطلق منه الداعي، ينطلق منه المربي في بيته، في مدرسته، ليكون ميداناً للبيان والشرح وتعليق الناس بهذا الكلام العظيم.

لذلك كان من المهم أن نلفت انتباه المهتمين بالديانة من جميع الطبقات، والمهتمين بالعلم، والمهتمين بشأن الإسلام إلى الالتفات إلى ما كان عليه السلف الصالح من الفهم والإدراك والعمل، فإن فيهم المقتدى بهم وفيهم الإمام في أقواله وأعماله ، أقوالهم كثيرة متنوعة، لكنني سأخذ بعض ما تيسر منها ، وهذه الأقوال التي سأورد لها ليست من جمعي وإنما كانت مراسلات عبر الهاتف الجوال بيني وبين بعض الإخوة الخاصين الذين لي بهم صلة دائمة.

وهذه من المهمات، فإن هذه الوسائل الحديثة مثل الرسائل عبر الجوال لا بد أن يستفاد منها في الدعوة إلى الله تعالى، والاستفادة منها في التثبيت، وفي تعليق الناس بالمنهج الصحيح، وفي ربطهم بما كان عليه أهل العلم وما كان عليه السلف الصالح ..

- .. الإمام محمد بن علي بن الحسين رحمه الله تعالى قال: « جميع التعايش والتناصف والتعاشر في مكيال، ثلثاه فطنة وثلثه تغافل ».

التعايش والتعاشر مع الناس هذا لا ينفك عنه أحد، فالإنسان - كما يقولون - مدني بطبعه، يحتاج إلى أن يعاشر، يعاشر أهل بيته، يعاشر إخوانه وأهله، يعاشر زملاءه في العمل، من في منطقتة، في حارته،

في مسجده.. إلى آخره، هذا التعاشر لا بد لا ينفك منه أحد، ولذلك أدب الله المؤمنين بآداب التعاشر فقال سبحانه: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣] ، والنبي ﷺ قال: « .. وَخَالِقِ النَّاسِ بِخُلُقِ حَسَنٍ ».

محمد بن علي بن الحسين ماذا قال؟ قال: « التعايش والتعاشر في مكيال، هذا المكيال ثلثاه فطنة، وثلثه تغافل » ما معنى ذلك؟ يقول: إنك تحتاج في التعاشر مع الناس والتعايش معهم لكي تكون مخالفاً للناس بخلق حسن تكون معك صفتان حتى تنجح، هاتان الصفتان: ثلث صفة وثلثان صفة ، الفطنة والتغافل.

التغافل ما معناه؟ التغافل : هو عدم إقصاء الأمور بحثاً وتنقيهاً، ربما يقول لك شخص كلمة تعرف أنه غير صادق فيها، ما تأتي تلاحيه حتى تثبت له أنه غير صادق ، يأتي يقول شيء من هواه ما تأتي تثبت أنه خطأ ، لا بد من الفطنة حتى تدرك الأمور في تعاشرك وتعاملك لكن لا بد من التغافل، ما يكون المرء مصادماً، التعاشر مع الناس يحتاج إلى من هو فطن ومتغافل ، فطن حتى لا يلعب عليه، حتى لا يضحك عليه، حتى لا يأتي أشياء يُظن معها أن المؤمن أو الرجل الصالح أو أنه لا يفهم شيئاً ، هو فطن ، لكنه لا يُقصي الأمور إلى نهايتها يتغافل.

ولذلك قال أحد علماء الحديث وأظنه وكيعاً أو سفيان: « الخير تسعة أعشاره في التغافل ». فقلت للإمام أحمد لله، فقال الإمام أحمد: « قصر -يعني لم يأتي بالصواب كاملاً- الخير كله في التغافل ».

لذلك في التعاشر لا بد لك من التغافل، وهذه وصية لكي نحصل على أعظم ما يوضع في الميزان يوم القيامة وهو الخلق الحسن، أعظم ما يوضع في الميزان يوم القيامة الخلق الحسن، لكن الخلق الحسن ليس دروشة وغفلة، بمعنى عدم انتباه وعدم فطنة، لا ، فطن ولكنه مرّبي، فطن مرّبي يفهم ويتغافل، وهذه تكون في كثير من الأحيان أعظم تأثيراً في المقابل، إذا علم أن الذي يتعامل معه أنه فطن ولكنه يتغافل، فيكون أكثر وأكثر في ذلك.

الإمام أحمد قيل له إن فلانا من أئمة الحديث، أو من رواة الأحاديث، إنه مريض وله عشرة أيام لم يخرج من بيته، نذهب لزيارته فإن من حق المسلم على المسلم أن يعودوه إذا مرض، فذهب هو وأصحابه وكان هذا الذي يروي الحديث أو من علماء الحديث كان يتأول شيئاً - لا يُشترط في العالم أو في الراوي أو غيره أن يكون كاملاً ربما له تأويل في مسائل من مسائل العلم يرى هكذا ولا يوافق عليه غيره - فكان له تأويل في بعض المشروبات مما لم يجمع العلماء على حرمة، فدخل الإمام أحمد لزيارته، فلما دخل وجد بعض هذه الأشربة - وهو يعرف مذهبه في الشراب - وجد بعض هذه الأشربة في مكان فجلس وجعلها خلفه، جلس الإمام أحمد لزيارة المريض وجعل تلك الأشربة خلفه، ومعه عدد من طلابه، وزاروه وخرجوا، لما خرج قال له بعض تلامذته: يا أبا عبد الله ألم تر الشراب؟

قال: لم أر شيئاً. قال: لقد كان وراء ظهره. قال: وهل يرى الإنسان ما وراء ظهره؟ هذا تغافل، تغافل فيه حكمة، أتت الجارية لهذا الراوي وقالت: لقد أتاك أبو عبد الله ولم تترع الشراب. فقال: إذا كنت لا أستحيي من الله فكيف أستحيي من أبي عبد الله ولكني أتركه من الساعة، أريقي تلك القوارير. الموقف له تأثيره ولكن لكل مقام مقال.

هنا قال محمد بن علي بن الحسين: « فطنة وتغافل»، المؤمن كيس فطن يدرك الأمور ويعرفها؛ لكن لا يتقصى الأمور إلى نهايتها، في بيتك أنت ترى أشياء يتصرف ابنك، يتصرف أخوك يتصرف صديقك في أشياء لا بد فيها من التغافل، يقول كلمة لا تعجبك، تمررها، لذلك قال بعض السلف: « الكلمة التي تؤذيك طأطئ لها رأسك فإنها تتخطاك». إذا أتى كلام يؤذيك تقول: فلان يقصدني، هذا يقصدني، لا تعتبر أنه يقصدك ولا تكن أنت المراد به، لكن إذا واجهت الكلام أصبح عليك وأصبح .. الى آخره .. وزاد، ولذلك في كثير من المواجهات تزيد أصلاً

الخلافات تزيد بالمواجهات لأنها بدأت المواجهة لكن لو مررها المسلم وكان فطناً فيها لكن تغافل عنها، نجح كثيراً في ذلك. وقال أيضاً حفظه الله: (في شرحه للحديث السادس عشر من شرح الأربعين النووية):

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني، قال: « لا تغضب»، فردد مراراً، قال: « لا تغضب» [رواه البخاري].

-.. الحديث له معنيان: وأن النهي عن الغضب يشمل النهي عن إنفاذ الغضب بكتمان الغضب، ويشمل أيضاً النهي عن غشيان وسائل الغضب.

علاج الغضب: جاء في السنة أحاديث كثيرة في علاج الغضب، نجملها في الآتي:

- أولاً: أن الغضب يعالج بالوضوء؛ لأنه فيه ثورة، والوضوء فيه تبريد؛ ولأن الغضب من الشيطان، والوضوء فيه استكانة لله صلى الله عليه وسلم وتعبد لله، فهو يسكن الغضب، فمن غضب فيشرع له الوضوء.

- كذلك مما جاء في السنة أنه إذا غضب وكان قائماً أن يقعد، وهذا من علاج آثار الغضب؛ لأنه يسكن نفسه.

- ومن أيضاً علاج الغضب أن يسعى في كظمه وإبداله بالكلام الحسن، لمن قدر على ذلك.

ومن المعلوم أن الإنسان يتلى، وابتلاؤه يكون معه درجاته وأجره وثوابه، فإذا ابتلى بما يغضبه فكظم ذلك، وامثل أمر النبي صلى الله عليه وسلم وما حث الله صلى الله عليه وسلم عليه بقوله ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤] وكظم غيظه، وهو يقدر على إنفاذه، كان حراً بكل فضل مما جاء في الأحاديث، بأن يدعى على رعوس الخلائق إلى الجنة، وأشبه ذلك.

خلق

التغافل

من محاضرة
(من معين أقوال السلف)



بِعَالِمِ السَّبْعِ الْعَلَامَةِ
صَاحِبِ بَيْتِ الْعِزِّ وَالشَّيْخِ